أ.د. فهمي توفيق محمد مقبل

أُدباء معاصرون

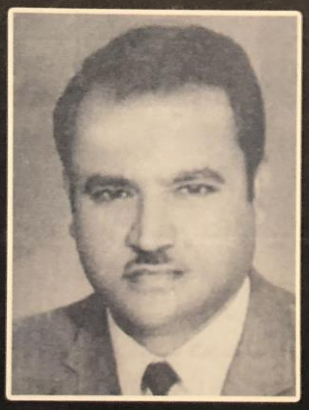

نصرت عبد الرحمن

برهان الدين العبوشي

رجا سَمرين

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٨/ ٥/ ٢٠١٥)
مقبل، فهمي توفيق محمد
أدباء معاصرون: نصرت عبد الرحمن، برهان الدين العبوشي، رجا سُمرين
/ فهمي توفيق محمد مقبل عمان، ٢٠١٥م.
(١٠٨) ص
ر.أ: (٢٠١٨/ ٥/ ٢٠١٥).
الواصفات: / الأدباء العرب// العصر الحديث/

ISBN ٩٧٨ ـ ٩٩٥٧ ـ ٧٧ ـ ٣٨٤ ـ ٧ (ردمك)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل دون إذن خطي من المؤلف أو الناشر

All rights reserved © : No part of this book may by reproduced or utilized in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or by any information storage and retrieval system without permission in writing of the author or publisher.

أُدباء معاصرون

نصرت عبد الرحمن، برهان الدين العبوشي، رجا سُمرين

بقلم

أ. د. فهمي توفيق محمد مقبل

أستاذ التاريخ والحضارة

كلية الآداب والعلوم، جامعة البترا، عمان

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

تقديم

يقوم هذا الكتاب على ثلاث دراسات تتناول أعلاماً من الأدب العربي الحديث (نصرت عبد الرحمن، برهان الدين العبوشي، رجا سُمرين) وهذا التناول لا يقف على سيرة حياتهم الأدبية والعلمية فقط، وإنما يكشف عن رؤية عميقة لجهودهم في الأدب العربي سواء ما قاموا به من دراسات وأبحاث، وما خطّته أقلامهم من شعر، وقد بذل العالم الجليل أ.د. فهمي مقبل جهداً كبيراً في التعريف بهؤلاء الأعلام، وبما أنتجته عقولهم من دراسات، وما باحت به قرائحهم من الشعر، وأعرف أن ما قام به أ.د. مقبل جاء من حبّه للأدب، وذائقته الرفيعة في الشعر، برغم أن تخصصه العلمي في التاريخ والحضارة، وانشغالاته في البحث والتدريس في الجامعات، لم يثنه عن مواصلة البحث والدراسة في الأدب العربي بشقيه الحديث والقديم.

يقدم هذا الكتاب للقارئ فائدة ثقافية، وإضافة نوعية للمكتبة العربية، كما يسهم في دفع عجلة الثقافة للأمام، بل يكشف عن أعلام ليسوا هم بمغمورين بين أعلام الأدب العربي، وإنما يضيء زوايا معتمة لم تتناولها جهود الدارسين والباحثين، الذين شغلوا أنفسهم في تتبع كل ما قدّمه هؤلاء الأعلام في مسيرة حياتهم الحافلة بالعطاء العلمي والإبداع الأدبي.

ختاماً فتح هذا الكتاب أفقاً واسعاً أمام القرّاء، وأمام طلبة الجامعات خاصة، لمواصلة البحث والاطلاع على إسهامات كبار أعلام الأدب والفكر العربي.

بقلم

د. زياد أبو لبن

ناقد وأكاديمي

مستشار بوزارة الثقافة الأُردنية

رئيس تحرير مجلة أفكار

مقدمة الكتاب

يقتصر هذا الكتاب على دراسة أعمال وسير ثلاثة أعلام من رواد الأدب والفكر المستنير، قدم اثنان منها ضمن أبحاث علمية مشاركة أخرى في حفلين تكريميين أقامهما قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة البترا الغراء وفاءً لذكراهما العطرة وتقديرًا لمكانتهما الأدبية والفكرية السامقة[١]. أما البحث الثالث قُدِّم ضمن أعمال علمية أخرى، شارك فيها كوكبة من المثقفين والأكاديميين، في الندوة العلمية التكريمية، التي أحيتها رابطة الكتاب الأردنيين احتفاءً بأديب كبير وتثمينًا لإبداعاته الأدبية والفكرية القيمة[٢].

وبالتأكيد فإن تكريم هذه النخبة من أدباء عصرهم- أملتها مناسبات لا انتقائية فيها - لا يعني في أي حال من الأحوال التقليل من مكانة وشأن العشرات بل المئات من الأدباء الأردنيين والعرب من أصحاب القامات والهامات الأدبية والثقافية المرموقة، الذين أثروا عالمنا بإبداعاتهم الاستثنائية الرائعة، وأحسب أنهم أكبر من كل تكريم ويكفيهم جمهورهم الواسع المحب الذي يقيم لهم كبير وزن وكريم اعتبار. في الختام أضرع إلى العلي القدير أن يحقق هذا الكتاب الفائدة المرجوة منه وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم والحمد لله من قبل ومن بعد.

فهمي توفيق مقبل

عمان في: ٢١/٦/٢٠١٥م

الموافق: ٤/٩/١٤٣٦هـ

---

(١) البحث الأول والثاني نشرا في كتاب ضمن بحوث أعمال الحفل التكريمي الذي أقامه قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة البترا، وفاءً لذكرى المرحومين الأديبين الكبيرين نصرت عبد الرحمن، وبرهان الدين العبوشي. انظر التفاصيل في الداخل.

(٢) بحث مشارك في الندوة العلمية التكريمية، التي أحيتها رابطة الكتاب الأردنيين، تقديرًا لمكانة وإنجازات الأديب المعروف الدكتور رجا سُمرين الأدبية والفكرية القيمة، شاركت فيها كوكبة من المثقفين والأكاديميين. انظر التفاصيل في الداخل.

البحث الثالث

الدكتور رجا محمد سُمرين

(١٣٤٧هـ ـــ = ١٩٢٩م ـــ)

الأديب والتربوي والإعلامي والمفكر المرموق

"دراسة في مفهوم الوطن

والوطنية في شعره"(*)

(*) بحث مشارك بعنوان: "الوطن في شعر رجا سُمرين" في الندوة العلمية التكريمية، التي أحيتها رابطة الكتاب الأردنيين في (٩/ ١/ ١٤٣٦هـ = ١/ ١١/ ٢٠١٤م) احتفاءً بالأديب المعروف الدكتور رجا سُمرين ولمكانته وإنجازاته الأدبية والفكرية القيمة، شاركت فيها كوكبة من المثقفين والأكاديميين، وأدارها الناقد الأستاذ محمد المشايخ.

مدخل

عندما تحتشد رابطة الكتاب الأردنيين لتكريم علم بارز من أعلام الأدب، ورائد من رواد الفكر، من قامة الشاعر، والناقد د. رجا سُمرين فإن هذا يتفق مع نهج الرابطة، ورسالتها النبيلة، في تكريم رواد الفكر، والأدب، سواءً من داخل الوطن أم من خارجه؛ عُربٍ، وعجمٍ، وأحسب أن د. سُمرين واحد من رموز هذه الشخصيات الأدبية المرموقة من جيل رواد أعلام العربية، النهضويين، الذين نذروا حياتهم لخدمة قضايا أمتهم المصيرية، وبذل كل ما يستطاع لإيقاظها من رقدتها، وحضها على مقاومة أعداء تطلعاتها في الحرية. والنيل من انتمائها الأثير لهويتها وثقافتها العربية الإسلامية الأصيلة.

وعلى رغم الواقع المؤسف - على مختلف الصعد - الذي يرخي بظلاله القاتمة على جميع الجوانب الحيوية في حياتنا، نجد شاعرنا الكبير د. سُمرين لا يفارقه التفاؤل ويحدوه الأمل، أن تسترجع أمته وحدتها يدًا عليا، وكلمة مسموعة، في الخافقين، وصولًا إلى الإعداد لقوة لا تقهر، تمكنها من طرد الغزاة المحتلين من أرضها، ومن بحرها، ومن فضائها، من ثم التربع على قمة الندية العالمية، إلى حد أبعد من مفهوم مبدأ توازن القوى، في مواجهة أشرس قوى ظلومة تسمى نفسها الدول العظمى، تجافي العدالة؛ وتتحالف مع شر البرية الحركة الصهيونية العالمية، الجهنمية، البغيضة، التي خططت مع هذه القوى الكبرى في ليلة معتمة لاقتلاع شعب من أرضه، وطمس تاريخه، وتهديد أسباب البقاء والوجود للأمتين؛ العربية والإسلامية.

لقد استطاع د. سُمرين بالفعل أن يجعل من قصائده الإبداعية سهامًا أقضّت مضاجع العدو، فأرقت صحوه، ومنامه، وفضحت جرائمه، وكشفت زيف أكاذيبه،

ومخططاته الرامية إلى سلب وابتلاع المزيد من الأرض العربية الفلسطينية. لا غرو إذًا أن غلبت نزعته الوطنية على مجمل قصائده المزهوة بحلية الوطن، والبوح حتى الوله بحبه، والتغني بالشوق والحنين إليه، معنىً، ومبنىً، فهمًا، وبُعدًا، لقد ظلّ شاعرنا الوفي الأبدي لأرضه وشعبه يحمل وطنه في داخله أينما حل وارتحل، باكيًا أوجاع وآلام وعذابات نكبة شعبه الفلسطيني المقاوم، وتداعياتها المتفاقمة.

ويلاحظ أن قصائد د. سُمرين جاءت في معظمها بخلاف أكثر شعراء جيله، ومدارسهم، حيث انحاز شعرهم - حد الإفراط - إلى جانب البُعد الإنساني العام. ومع أن د. سُمرين في العديد من قصائده شاركهم الهمَّ نفسه، إلا أنه حافظ في أعماله - كما تقدم - الأدبية شعرًا ونثرًا، وبحوثًا ومؤلفاتٍ قيمة عديدة، التزامه، وانحيازه، الأبدي، إلى معاناة وطنه، وشعبه، وأمته، من طغيان القوى الأجنبية الخبيثة، التي تخطط على الدوام لتقويض وحدة الأمة، من ثم الاستيلاء على أرضها، وثرواتها؛ ما فوق الثرى، وما تحت الثرى. من رحم هذه المعاناة المأساة، جاءت قصائد د. سُمرين تدعو وتنشد للوحدة والتحرر وتحمل الهمَّ العروبي الإسلامي بأبعاده كافة.

يقول الشاعر والناقد راشد عيسى: إن ما أبدعه د. سُمرين من شعر، ونثر، وبحوث، ومؤلفات، عديدة، رصينة محكمة، تضعه في مصاف رواد الأدب العربي الكبار، ويكفيه علو كعب في مضمار الأدب والثقافة الموسوعية أنه صاحب تجربة متميزة؛ صحيح أنها لم تأخذ حظها في الدراسة والبحث، وهذا من الظلم بمكان، لكن هذا لا يقلل من قيمتها الأدبية الرفيعة النفيسة. وحسبه قامة أدبية سامقة - بين رواد عصره من الشعراء الأدباء - شعرًا ونثرًا ما قدمه من إنجاز كبير للمشهد الثقافي ولأجيال الأمة، فضلًا عن إصداراته، البحثية، والنقدية القيمة، المعروفة، والمقدرة، محليًا، وعربيًا، في الساحة الأدبية والفكرية والتربوية، والوطنية خاصة،

ويوصف د. سُمرين بأنه واحد من فحول القصيدة العمودية، وسادن أمين للغة العربية، وقد تربت على يديه، وعلى منهاجه الأدبي الخُلُقي، أجيال عديدة في الأردن، وفلسطين، ومصر، والسعودية، والكويت، وغيرها[١].

ومن أبرز صور انحيازه الدائم في أعماله الأدبية بشكل لافت، جاءت صورة تعظيم قيمة الوطن، والمُثل العُليا؛ فجاء شعره مقاومًا بامتياز، فلا تصالح ولا اعتراف ولا تفاوض مع العدو المحتل مستنهضًا بشعره شعبه وأمته، مناشدها رص الصفوف، والتمسك بخيار المقاومة، مهما تكن التضحيات، حتى تحقيق النصر باجتثاث العدو الصهيوني الأجنبي من أرض العرب، أرض فلسطين، بالتالي محو آثاره السلبية الكارثية، وتطهير الأرض من دنسه ونجسه الكريه، والتي نجمت عن هذه الحقبة التاريخية السوداء، من حياة الشعب الفلسطيني، والأمة العربية خاصة.

"حكمنا فكان العفو منا سجية
فلما حكمتم سال بالدم أبطحُ
وحللتموا قتل الأسارى وطالما
غدونا على الأسرى نعفُ و نصفحُ
فحسبكم هذا التفرق بيننا
وكل إناء بالذي فيه ينضحُ"[٢]

---

(١) انظر راشد عيسى، من كلمة ألقاها بمناسبة أقيمت احتفاءً بالأديب الشاعر الناقد المربي الأكاديمي د. سُمرين في فعالية خاصة أقيمت تكريمًا لمكانته الشعرية كشاعر مخضرم في صالون مريم الصيفي الأدبي. تحت عنوان: "صالون مريم الصيفي يحتفي بالأديب رجا سُمرين"، راجع الدستور الأردنية (جريدة) عدد الأحد، ٢٠ تموز (يوليو) ٢٠١٤م، ص١٦.

(٢) أبيات مختارة من قصيدة طويلة " ملكنا فكان العفو..." لأبي الفوارس سعد بن محمد بن الصيفي التميمي المعروف بـ (حيص بيص) (ت ٥٧٤هـ = ١١٧٨م). شاعر عباسي مشهور.

زد على ذلك، أن الأدباء الكبار الثقاة، يعدون قصائده من عيون الأدب الأصيل وكنوزه شعرًا ونثرًا، مصوغة بلغة عربية من السهل الممتنع، وتجافي العامية وشرها الوبيل على لغتنا الفصيحة، كما وشت قصائده بشخصيته الإنسانية الرفيعة الشفافة من أخلاق سمحة، وتواضع جم، ومشاعر رقيقة، فياضة، ومعاشرة حسنة، توجها بعلم نافع، وفمٍ ذهبي ينطق بالروائع، وقلب سليم، طائع، وصدر رحب، واسع، مما يجعله حقًا حريًا بهذا التكريم من رابطة الكتاب الأردنيين، احتفاءً وتثمينًا عاليًا بمسيرته الأدبية، الشعرية الفريدة، التي تمتد إلى أكثر من خمسة عقود، أثرى فيها المكتبة العربية بمختلف ضروب المعرفة الهادفة، من مصنفات أدبية، وعلمية، وفكرية، وتربوية، قيمة. ومن اللافت في أعمال د. سُمرين تمسكه الشديد في مجمل قصائده بعمود الشعر العربي القديم، والتي تناول فيها مختلف صنوف الأدب وأغراضه وموضوعاته، وهي مصنفات خليقة بالاقتناء والبقاء.

■ إطلالة على السيرة الشخصية للدكتور سُمرين لسبر غور منابع تكوين شخصيته الأدبية والفكرية والوطنية ...

تشي سيرة د. سُمرين الشخصية بطفولة مأساوية، شأنه شأن أكثر العظماء الذين جارت عليهم الأقدار، فشقوا طريقهم بأيديهم بعصامية وشفافية في مواجهة حياة قاسية تزامنت مع هبوب رياح عاتية لحركات سياسية استعمارية (استدمارية) حولت معظم بلاد العرب عامة، وبلاد الشام خاصة، إلى مسرح لمعارك وحروب دموية غير مسبوقة، وترسيخ قيم الظلم والاستبداد. ومن ثم لتؤدي إلى نتائج كارثية أفرزت أسوأ أوضاع شهدها العالم العربي والإسلامي في تاريخه الحديث والمعاصر، لعل من أخطرها نكبة فلسطين، وتشتيت شعبها، وتصدع الثوابت التاريخية التي تصون وحدة العرب دولًا وشعوبًا، وتراص صفوفهم، وثالثة الأثافي استفحال

العداء السافر بين القيادات والزعماء العرب مما نجم عنه كل أسباب الضعف والتخلف على الصعد كافة، وكان له أسوأ الأثر في تمكين العدو من داخل حصوننا وخارجها في تثبيت أقدامه في قلب الوطن العربي، والتمكن من سيطرة قوى الاستعمار (الاستدمار) العالمية وربيبتها حصان طروادتها الصهيونية العنصرية من التحكم في بلادنا؛ ثروات، ومقدرات، وتبعية مغرقة إلى زمن لا يُعرف سقفه![1].

يرى عصام حمّاد أن للشعب العربي الفلسطيني ثلاثة أعداء ألداء هم: الصهيونية، المتاجرة بالشعارات الأسطورية، ومعظم الأنظمة العربية المتخلفة التي لا تحسن المعادلة بين الأصالة والمعاصرة، وبين الصديق والعدو، من ثم صمتها المطبق، صمت الحملان المريب، بغض بصرها عن المخاطر التي تهدد أمتنا بتخطيط من الاستعمار العالمي الذي أنشب مخالبه عميقة في جسد شعوب أمتنا ليمتص دماءها، ويبني سعادته على حطامها، ويغير أساليبه تبعًا لتغير الظروف والأحوال. هؤلاء هم أعداء الإنسانية والحياة الطيبة والمستقبل الزاهر، وهم بطبيعة الحال يحملون أوزار النكبة الفلسطينية خاصة، بوصفهم أصحاب المصالح الناجمة عن حلولها[2].

"لمّا تَعَرَّضَ نَجْمُكَ المَنحوسُ وتَرَنَّحَت بِعُرى الحِبالِ رؤوسُ
ناحَ الأذانُ وأعوَلَ الناقوسُ فاللَيلُ أكْدَرُ، والنَّهارُ عَبوسُ"[3]

(١) انظر وقارن، عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص٢٦٩.

(٢) انظر عصام حماد، "للشعب العربي الفلسطيني ثلاثة أعداء ألداء"، في الكيالي، المرجع السابق، ص٢٦٩- ٢٧٠. وقارن أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار (١٩٢٢- ١٩٣٩م) معهد البحوث والدراسات العالية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣١ وما بعدها.

(٣) انظر إبراهيم طوقان، أبيات مختارة من قصيدته الخالدة "الثلاثاء الحمراء"، انظر القصيدة كاملة في ديوان إبراهيم طوقان، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٧٤ وما بعدها.

في وسط هذه الأجواء المكفهرة، الملبدة بالغيوم الشديدة السواد، والماطرة بالفتن القاتلة الهوجاء التي أرخت سدولها كقطع الليل المظلم، ونوازل ألمت بفلسطين وشعبها خاصة، والعالمين العربي والإسلامي عامة، ولد شاعرنا المبدع المُجيد الإنسان د. رجا محمد عبد الله أحمد سُمرين، في قرية "قالونيا" لواء القدس، سنة (١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م) وما أن بزغ فجر طفولته حتى بدأت قصة كفاحه، وهي قصة حياة كفاح طويلة مريرة عاشها شاعرنا، اختلط فيها البلسم بلعاب الأرقم، والحلاوة بالعلقم، وعلى الرغم من جحيم ضنك العيش وجبروت المستدمر، واصل الفتى الواعد رجا تعليمه الابتدائي حتى الثانوي في مدارس وطنه فلسطين، وشهد وهو في ريعان الصبا تدمير العصابات الصهيونية لقريته الوادعة ومحوها من الوجود، بحجة الانتقام من أهلها الأبطال الذين قاوموا الخطر الصهيوني ببطولة لافتة بمشاركتهم في الثورات الفلسطينية المتعاقبة، مصورًا مأساة مصيبة قريته الأثيرة وأهلها الآمنين، شعرًا يجمع بين الرثاء والبكاء مبللًا بدموع عينيه قائلًا:

"على قالونيا أبكي ... بدمع غير منفكِ
على جناتِها الفيحا ... ء ذات العطر والمسكِ
على ما في مسالِكها ... من الأحجار والشوكِ
على ما في مرابعها ... من الوديان والأيكِ
على ما في منازِلها ... من الإبداع والسبْكِ
على بيتٍ قضيتُ به ... حياةً دونما ضنكِ"[1]

لا جرم أن كان لاحتلال اليهود الصهاينة لمسقط رأس الشاعر وبلاده فلسطين أعمق الأثر في نفسه وشعره، تجلى هذا الأثر شعرًا وطنيًا متقدمًا في معظم كتاباته،

(١) انظر رجا سُمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، دار اليراع، عمان، ٢٠٠٢م، ص٩. وانظر المرجع نفسه، قصيدته الكاملة على قالونيا أبكي، ص٤٧ - ٤٨.

من ثم انعكست آثارها على مجمل حياته الأدبية والفكرية والوطنية والتربوية والسياسية. هذا ما نطقت به إنجازاته الأدبية الإبداعية المنوعة المشهودة، ومواقفه الوطنية المشرفة الثابتة، بالكلمة، فلقد فضح الشعر الفلسطيني عمومًا التحام الاستعمار بالصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، وكشف نواياهم المبيتة لنهب أرضه وطرده منها، وعرض في الوقت نفسه قضية فلسطين عرضًا صادقًا مخلصًا، وصور جوانب هامة من نضال أهلها البواسل، وتضحياتهم السخية من أجلها[1]... وحسب د. سُمرين في - هذا المقام - أصله الشريف الذي تمتد جذوره التاريخية نسبًا وحسبًا إلى عشيرة خطّاب العربية اللخمية اليمنية العريقة، والتي استوطنت "قالونيا" بعد الفتح الإسلامي. لقد أسهم هذا المحتد النبيل بدوره في تشكيل شخصية د. سُمرين، ووعيه الفكري العام، وانتمائه الأصيل لعروبته وإسلامه ولشعبه وأُمته، حيث نذر حياته في خدمة وطنه وشعبه عالِمًا أديبًا مربياً، ومعلمًا ومتعلمًا قولًا وفعلًا[2].

"وإذا كانتِ النفوسُ كِبارًا تعبَتْ في مُرادِها الأجسامُ"[3]

---

(١) محمد عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر (من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨م) دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٤٦.

(٢) انظر وقارن رجا سُمرين، أدب السيرة في تراث العبوشي برهان الدين العبوشي فارس السيف والقلم- أعمال الندوة التكريمية للشاعر المناضل برهان الدين العبوشي (بمناسبة مرور مائة عام على ولادته) جامعة البترا، ودار جرير، عمّان، ٢٠١٤م، ص٦٢ وما بعدها. انظر وقارن أيضًا، فهمي توفيق محمد مقبل: صورة برهان الدين العبوشي (فارس السيف والقلم) في كتابات معاصريه (١٣٣٠ - ١٤١٥هـ = ١٩١١ - ١٩٩٥م في برهان الدين العبوشي فارس السيف والقلم - في المرجع نفسه، ص٢٠ وما بعدها.

(٣) أبيات مختارة من قصيدة لأبي الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي الكندي) (ت ٣٥٤هـ = ٩٦٥م) بعنوان: أين أزمعت أيهذا الهُمامُ؟، عدد أبياتها ١٨، تجدها كاملة في ديوان العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، في جزأين، تحقيق وشرح نصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

انسجامًا مع هذه التوجهات الطموحة بدأ خطوات مستقبله الأولى في البحث عما يروي ظمأه ونهمه من علم وأدب وثقافة ووطنية صادقة، فنراهُ على أثر سقوط وطنه الصغير قريته الأثيرة بأيدي العصابات الصهيونية عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) يلجأ إلى القاهرة، وما أن ألقى عصا الترحال في مصر، حتى التحق بقسم البعوث الإسلامية في الأزهر الشريف في أواخر عام (١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م) ليلتحق بعد عام واحد بكلية اللغة العربية ليحصل منها عام (١٣٥٦هـ = ١٩٥٥م) على الشهادة العالية (ليسانس) في علوم اللغة العربية وآدابها. ثم ما لبث أن استأنف مسيرته العلمية - أثناء اشتغاله بالتدريس - في الكلية نفسها حيث حصل على درجة الماجستير منها العام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م) وكان موضوع رسالته "الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر"، متوجًا هذه المرحلة من حياته العلمية بنيل درجة الدكتوراه التي حصل عليها عام (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) من الكلية ذاتها، وذلك عن رسالته التي أعدها عن "شعر المرأة العربية المعاصرة من (١٩٤٥- ١٩٧٠م)". وكان وقتئذٍ - عند نيلها - ما زال يعمل موجهًا فنيًا للغة العربية بوزارة التربية والتعليم في الكويت.

يقول محمد عطوات كان أبناء فلسطين جادين نشيطين، رغم أنه لم يكن في وطنهم حتى عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) جامعة ولا كليات أو معاهد جامعية... ولا مكتبة عامة (دار كتب) بينما كان لليهود جامعتهم العبرية قرب القدس، والتي أنشئت عام (١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م)... تدعمها الهيئات الصهيونية في الداخل والخارج وهذا كان سببًا رئيسًا في توجه فتيان فلسطين وفتياتها من أجل تلقي العلم حتى ولو على نفقتهم الخاصة في جامعات الأقطار العربية والأوربية والأمريكية، وكان حافزهم الأول حب العلم وخدمة بلادهم فلسطين والتنافس الشديد بينهم وبين اليهود، وقد بلغ عدد الذين توجهوا إلى الأقطار العربية وحدها في عام

(١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) (١٠٦٥) طالبًا وطالبة تلقى معظمهم العلم في جامعات القاهرة؛ كالأزهر الشريف، وجامعة القاهرة ودار العلوم، والجامعة الأمريكية في القاهرة، وفي بيروت. الحقيقة لقد فتحت مختلف الجامعات العربية أبوابها لأبناء فلسطين الذين كانوا يعودون إلى وطنهم حاملين مشاعل الفكر، وألوان المعرفة، وأسهموا بكل تفانٍ في خدمة وطنهم فلسطين ونهضته في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية حتى أصبحت فلسطين مرشحة بعد مصر ثم لبنان في قيادة مسيرة النهضة العربية[1].

وبعد هذا المشوار العلمي (الماراثوني) عاد د. سُمرين إلى متابعة مسيرته التربوية العلمية بمزاولته مهنة التدريس في المملكة العربية السعودية، والكويت، لتكون الكويت آخر محطاته العلمية والعملية في البلاد العربية. وعلى أثر أزمة الخليج (١٤١١هـ = ١٩٩٠م) عاد إلى المملكة الأردنية الهاشمية، ليشغل لسنوات عديدة مدرسًا للغة العربية وآدابها في كليات المجتمع الخاصة المرموقة في عمّان. ليشهد أواخر عام (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) آخر محطاته العملية في عالم التدريس، لينكب حراكه الأدبي بعدها في عدد من الروابط الأدبية والأندية الثقافية المعتبرة، من أهمها: رابطة الأدب الحديث في القاهرة، وندوة شعراء العروبة في القاهرة، واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ورابطة الكتاب الأردنيين في عمّان، واتحاد الكتاب والأدباء العرب في دمشق.

هذا إلى جانب الكثير من المصنفات والدراسات الأدبية الفكرية المنوعة الخلاقة والتي صدرت في فترات زمنية متفاوتة أهمها: (بالاشتراك) "عصور الأدب العربي" في السلط، الأردن؛ "الشعر الفلسطيني في معركة بيروت"، في الكويت؛ (بالاشتراك) "الأدب العربي ومصادره عبر العصور" في الكويت؛ "شعر المرأة

(١) عطوات، المرجع السابق، ص٧٤ – ٧٥.

العربية المعاصرة" من (١٩٤٥- ١٩٧٠م) في بيروت؛ "علي دُمَّر – شاعر الحُب والغُربة والحنين"، في دمشق؛ "الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر"، في عمّان، "تحت المجهر"، في عمّان؛ "أوراق الشتات – سيرة ذاتية ومذكرات"، في عمّان. ونقل إلى العربية رواية "امرأة في القمة"، وهي للروائي الأمريكي المشهور كونسيلرز (Consolers) أضف إلى هذا كله، مشاركاته الإبداعية المتميزة في كتابة المقالات في معظم صحف العالم العربي، ومجلاته الرصينة، والتي تجاوزت المائة مقال ما بين الأدبي والديني والسياسي... كما نوهت العديد من الصفحات الأدبية في الصحف والمجلات العربية الجادة بشعره الجزل المتميز، والتي زادت عن (٥٠) مقالة، كما أُجريت مع الشاعر الأديب د. سُمرين، مقابلات إذاعية، وصحفية، وتلفازية كثيرة، وقدم اثنتي عشرة أمسية شعرية، وعددًا من الندوات، والمحاضرات الأدبية والسياسية في كل من الكويت والأردن، كما أذاع بصوته أكثر من سبعين حديثًا إذاعيًا من إذاعات عمّان، والكويت، والرباط وغيرها.

كما وشت نشاطات الأديب الشاعر د. سُمرين المتعددة بحبه وولوعه ببلاده فلسطين، فكانت على الدوام عشقه الأول، وجرحه النازف الذي لم يندمل بعد؛ فقد أحب من أجلها كل من يقاوم لتحريرها، وتغنى ببطولاتهم وبكى شهداءهم، ومنهم ولده محمد، الذي ترك مقاعد الدراسة في جامعة حلب والتحق بصفوف المقاومة ليصد الاجتياح الصهيوني لمدينة بيروت عام (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) فارتقى إلى جنة الخلد شهيدًا بإذن الله تعالى[1]. كما أكد تعاطفه العميق مع حركات التحرير في وطنه العربي الكبير، وفي مختلف أنحاء العالم. فتغنى ببطولات شعوبها،

(١) استشهد ولد د. سُمرين الثاني محمد (يرحمه الله) وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره، في معركة مواجهة مع العدو الصهيوني في مدينة بحمدون اللبنانية في (٢٥/ ٦/ ١٩٨٢ م) أثناء تصديه للاجتياح الصهيوني لجنوب لبنان، انظر سُمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص١٣. كذلك انظر وقارن مأمون فريز جرار، الأعمال الشعرية، دار المأمون، عمّان، ٢٠١٠م، ص٤٠٣ – ٤٠٤ وهنا وهناك.

ورثى شهداءها.

ولشاعرنا كذلك مبادئه السامية الثابتة ومثلُه العُليا ومواقفه الشجاعة المشهودة من الحياة وقضايا الإنسان، ومن الطغاة وعسفهم وجناياتهم وتجاوزاتهم، وقد صوَّر مواقفه - من كل ذلك - أصدق تصوير، متشبثًا بقناعاته لا يَطرِفُ له جفن، أو ترتعد له فرائص أو يُخْطَفُ له بصر كلما لوَّحَ له المساومون ببريق المال والذهب والمناصب والرتب.

"إذا غامرتَ في شرفٍ مَروم ... فلا تَقْنَعْ بما دُونَ النجوم

فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقير ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيم"[1]

وقد أحب شاعرنا العبقرية والنبوغ فأشاد بها، وتغنى بها شعرًا ونثرًا، وصور إعجابه بأصحابها، كما أحب أصدقاءه وزملاءه حبًا لا يجارى في السراء والضراء فكان حريصًا على تخليد علاقته بهم، وفاءً واعترافًا بالصداقة الحقة، والأصدقاء النبلاء، وحرص في الوقت نفسه على ذكر محاسنهم، يبكي على من تَخَرَّمَهُ الموت منهم بدموع صادقة، ويرثيهم رثاءً معبرًا عن حبه ووفائه لهم[2]. ولا يفوتنا في هذا السياق الإشارة إلى أهم أعماله الأدبية التي حواها كتابه "الأعمال الشعرية الكاملة"، الذي ضمنه خمسة دواوين، وعددًا من الشذرات ومسرحية شعرية واحدة، جاء ترتيبها على النحو التالي: (أولاً) ديوان "خميلة الروح"، ويضم قصائد الشاعر الجديدة، وقليلًا من قصائده القديمة. (ثانيًا) ديوان "الطريق إلى أرض ليلى"، الذي ضمنه قصة شاعرنا مع الشعر. (ثالثًا) ديوان "وتبقى الفوارس قرب الجياد". (رابعًا) ديوان "الضائعون"، وهو باكورة إنتاج الشاعر. (خامسًا) "شذرات"، وهي مجموعة من المقاطع التي تتراوح بين بيتين وستة أبيات، يصور فيها الشاعر دفقات شعرية بصورة مكثفة. (سادسًا) ديوان "بيني وبين الشعراء"، وهو عبارة عن

---

(١) أبيات مختارة من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، بعنوان إذا غامرت في شرف مروم، عدد أبياتها ٩، تجدها كاملة في ديوان أبي الطيب، المرجع السابق.

(٢) سُمرين الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص١٦-١٧.

مجموعة من المساجلات الشعرية بين الشاعر وزملائه، وبعض القصائد التي شارك شاعرنا في نظمها مع شاعر أو أكثر من أصدقائه الشعراء. (سابعًا) "الجنة الضائعة"، وهي مسرحية شعرية من أربعة فصول، تصور أحداثها الحقبة الأولى من حقب الصراع بين الفلسطينيين واليهود.

هذا وقد عرفت الساحة الأدبية في الأردن شاعرنا منذ الخمسينيات من القرن الفائت وقد كتب العديد من رموز الأدب وفحوله العرب عن بعض الجوانب الشعرية في شعر د. سُمرين – الذي يتدفق حماسة وعذوبة – في كتب قيمة لعل من أبرزهم كامل السوافيري، وعبد الرحمن الكيالي، وجميل سعيد، ومحمد عليان، وواصف أبو الشباب وغيرهم . كما أورد عدد من المعاجم الشعرية وكتب الأعلام والموسوعات الأدبية، المتخصصة، نبذًا عن حياته ونتاجه الشعري والأدبي[1].

---

(١) للمزيد عن حياة الشاعر د. رجا سُمرين وسيرته العلمية والعملية، وعن نتاجه الثر شعرًا ونثرًا وإبداعاته الأدبية بعامة، انظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد العزيز سعود البابطين (محرر) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، م٢، مؤسسة جائزة بابطين للإبداع الشعري، الكويت، ١٩٩٥م، ص٣١٨؛ هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، م٤، دمشق، ١٩٩٥م، ص٣٣؛ كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، الناشر المؤلف نفسه، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٤٠-٢٤١. كمال فرهود (إعداد) موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ط٣، دار المشرق، شفا عمرو (فلسطين) ١٩٩٨م، ص٤٩١؛ عرفان الهواري (إعداد) أعلام من أرض السلام، مطبعة الشروق، شفا عمرو (فلسطين) ١٩٧٩م، ص١٦٧؛ طلعت سقيرق، دليل كتاب فلسطين، دار الفرقد، دمشق، ١٩٩٨م، ص٢٦٤؛ عمر ديارنه، سلسلة أعلام من الأردن – شخصيات أردينه – ج٢، دار اليراع، عمان، ٢٠٠٠م، ص٢٧١؛ محمد حمادة (إعداد) أعلام فلسطين، ط١، ج٣، دار قتيبة، دمشق، ص١١٩؛ محمد أبو صوفه، من أعلام الفكر والأدب في الأردن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٠٠؛ محمد عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر، عمان، د.ت، ص٤٨– ٥٥؛ عطوات، المرجع السابق، ص١٦٥؛ موقع ديوان العرب – منبر حُر للثقافة والفكر والأدب – عدد الخميس، ٢٠١٤/١١/٦م؛ رجا سُمرين، مقدمة الناشر لديوانه الأعمال الشعرية الكاملة – شعراء معاصرون، المرجع السابق، ص٧– ٢٠.

"على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ

وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظمُ في عين الصغير صغارُها

وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ"(١)

من وحي ما تقدم كتب هاشم الغرايبة تحت عنوان: "سوفَ نأتيكِ كالنسور جميعًا"، قائلًا: "هذا صدرُ بيتِ شعرٍ للدكتور سُمرين ابن فلسطين الذي عاش النكبة من أولها، وذاق مرارة التطهير العرقي، والتهجير القسري، لتكون السلط إحدى المحطات التي توقف فيها ليسكب من كأسه المترعة بالألم والحسرة ما ملأ به كؤوسًا كثيرةً لتلاميذ تحلّقوا حوله في خمسينيات القرن الماضي، ليقبسوا من جمر نكبته ما يشعلون به قرار وجدانهم تضامنًا مع الشعب الفلسطيني الذي كان ولا يزال وسيبقى التوأم الملتصق بالروح والجسد مع أخيه الأردني. كان رجا سُمرين واحدًا من أساتذتي الذين تعلمتُ على أيديهم حروف العربية، ونهلت منه نحوها وصرفها...

حتى إذا حلّت الذكرى الثالثة والستون للنكبة، وما رافقها من أحداثٍ سالت فيها الدماء، تذكّرتُ بيتي الشعر السالفي الذكر اللذين أنستنيهما سنوات قهرٍ كثيرة حاول فيها أعداءُ هذه الأمةِ قتل حقّ العودة وإلقائه في مهاوي المستحيل، تذكرتهما وأنا أنظر وأتابع مئات الآلاف من فلسطينيي الشتات يملأون الذرى والوهاد المطلّة على وطنهم المحتل حاملين أرواحهم على أكفّهم لا يرهبهم رصاص المحتل... وكأني برجا سُمرين في ذلك الزمان البعيد الذي قال فيه بيتي شعره كان يقف على مرتقىً عالٍ من الرؤيةِ الشعرية الثاقبة ليصوّب عدسته باتجاه وطنه فلسطين ليقول لها: سوف نأتيكِ كالنسور جميعًا، نملأ الجوَّ في الذرى والوهاد.

(١) أبيات مختارة من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، بعنوان "على قدر أهل العزم"، عدد أبياتها ٤٦، تجدها كاملة في ديوان أبي الطيب، المرجع السابق.

لقد خطا الزاحفون على حدود فلسطين المحتلة الخطوة الأولى على طريق الحقّ المشروع بعودة الفلسطينيين إلى ديارهم، خطوة غير مسبوقة وقعت على الصهاينة وقوع الصاعقة، وشكّلت نذير شؤمٍ دقّ لهم جرسًا مرعبًا بأنّ أصحاب الحقّ لا بُدّ عائدون... وأيّ خطرٍ سيلحق بهم حتى لو اقتصر الأمر على هتاف تعلو به أصوات الفلسطينيين من وراء الحدود قائلين عائدون عائدون؟ وأيّ أثر لهذا الهياج المتناغم مع صدى الحراك الشعبي المليوني الذي تتهاوى على وقعه أنظمة شمولية لا يقاس ظلمها بظلم "إسرائيل"؟ فهل "لإسرائيل" هذه أن تتعظ بما يدور حولها، وهل لها أن تدرك بأنّ غشاوتها من الرثاثةِ والبلى ما عادت قادرة معهما على حجب الحقيقة عن أعين العدالة؟[1].

"فلسطينُ وَقدسُها الّتي تُمطِرُ
سلامًا وَأنبياء، وَأرضُها المُفعَمَةُ بالعِطرِ
الإلهي، وَمآذِنُها المَقهورَةُ بالحُزنِ،
وَأجراسُ كَنائِسِها الّتي تَستَصرِخُ السَّماء.
فِلسطينُ جُرحي الّذي لا يَبرَأ،
وَما كَتَبتُ كَلِمَةً تَتَّصِلُ بها إلا وَجَدتُ رُوحي
تَتَدفَّقُ عَلى قَلَمي دَمًا وَ دَمعًا وَ هبَّةَ إباء.
وَعَهدًا أبَدِيًّا إنْ نَسيتُكِ يا قُدسُ فَلْيَنْسني
اللّهُ في مَلَكُوتِه"[2].

---

(١) انظر هاشم غرايبة، "سوفَ نأتيكِ كالنسور جميعاً"، في الدستور الأردنية (جريدة) عدد السبت، ٢١/ ٥/ ٢٠١١م، ص١٤.

(٢) انظر ها انظر مصطفى شاكر، "هجرة في الجرح: تأملات في أعمال حلمي الزواتي الشعرية الكاملة"، جريدة الوطن، عدد٥٤٦٤، الخميس، ٣ أيار (مايو) ١٩٩٠م، ص٣، أعيد نشر هذه الدراسة كاملة في مجلة ديوان العرب. متوفرة على هذا الرابط: http://diwanalarab.com/spip?article ٦٢٩٨ انظر ص١. (تم النظر في هذه الدراسة يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٤م؛ كذلك انظر وقارن رجا سُمرين، "السمات الدلالية في شعر حلمي الزواتي"، في تحت المجهر (كتاب) مجموعة من الأبحاث والمقالات النقدية، دار اليراع، عمان، ٢٠٠٣م، ص٩٣ – ١٥٣.

■ فلسطين الوطن في شعر رجا سُمرين

لعل من الأهمية بمكان تركيز الضوء على شعر د. سُمرين للولـوج إلى روائـع عوالمه الموشاة بأزهى الألوان والصور الساحرة، والـتي أبـدعها بقـصائده الـشعرية الموجهة الهادفة، التي تحمل مضامين اجتماعية ووطنية وسياسية وجمالية، وتوجهـات دينية، وامتلاك أدوات تعبيرية رائعـة، الناطقـة بـأسمى المعـاني وصـادق الغـرض، المحملة بأوجاع شعبه وأمته، والتي تحـض علـى مقاومـة الاسـتعمار، والثـورة علـى الاستبداد وكل أشكال الهيمنـة للقـوى الطامعـة بـأرض العـرب مـن قـوى غربيـة خصوصًا. ولفت الانتبـاه للأطمـاع الاسـتعمارية (الاسـتدمارية) بوطنـه فلـسطين والأرض العربية.

لا غرو أن أصيب الشاعر الدكتور سُمرين كمثله من شعراء عـصره بالـذهول لهول فجيعة نكبة فلسطين، واكتوى معهم بنار الحرب ومـا نـتج عنهـا مـن المـذابح المروعة الهمجية، والانتهاكات الخُلُقية غير الإنسانية الـتي لا تليـق بالبـشر، وكانـت لطخة عار في جبين الصهيونية ولمن يمدها بأسباب التفوق العسكري الظالم الولايات المتحدة وبريطانيا خاصة، لتضاعف هذه القـوى الغاشمـة مـن جراحـات الـشعب الفلسطيني والأمة العربية ومن التـضحيات الجـسام الـتي قـدمها ومـا زال الـشعب الفلسطيني، الذي يقاسي ما حل بموطنه من الهدم والدمار والخـراب والنهـب، ومـا يرافق ذلك من أعمال وحـشية مـن تـشرد وتـشتت واعتقـال واضـطهاد وإرهـاب وانتهاك للحـرمات والكرامـات والمقدسـات... تركـت في نفـوس الفلـسطينيين جروحـًا ثخينة لا تندمل، وزاد الطين بلّـة مـصادرة الأراضـي أخطـر مـا يواجهـه سكان الأراضي المحتلة، ويكفي هذا سببًا رئيسًا لأن يخرج شاعرنا الغيور د. سُمرين عن صمته، ومثله مـن الـشعراء الغيـورين المنكـوبين كغيرهـم مـن أبنـاء وطـنهم، فتلمسوا هول النكبة وجراح أهاليهم وعذاباتهم وعلو الباطل على صاحب الحـق،

الذي بات الظلم والاضطهاد والحرمان قضاياه اليومية. هذا ما ترجمه شاعرنا في قصائد حارة تتفجر بالبكاء والعويل تارة والحنين إلى الوطن ومناجاته تارة ثانية... والحض على النضال والتحرير تارة أخرى[١].

ومن نافلة القول، أننا نجد د. سُمرين في شعره - على وجه العموم - مزج بين العقل والعاطفة، متمسكًا بشدة بالشعر العمودي (وحدة القافية) والتزامه بمبدأ إحياء الشعر العربي القديم، الذي يتناغم مع (أم اللُّغات) لغتنا العربية العبقرية الجميلة ذات الدلالات والمعاني والمترادفات التي لا يُسبر غورها، موشاة بجواهر الأدب من روائع الشعر والنثر تعبر أروع تعبير عن مختلف المناسبات الوطنية والقومية والدينية والتاريخية.

مجمل القول: لقد أدار د. سُمرين ظهره - تشاطره نخبة من أدباء وشعراء عصره - للقصيدة النثرية (الشعر الحُر) الذي اتسم - في رأيه، ومعه العديد من الشعراء، الذين يوافقونه الرأي- بتحرره من الصدر والعجز، وقيود القافية، والأوزان الشعرية المعروفة، التي لا تنطبق على الأوزان العروضية في معظم حالاتها. وهذا الشعر المحدث في نظر د. سُمرين لا يمت إلى فن العمود الشعري العربي (الكلاسيكي) القديم في أي حال من الأحوال، ونعت من يتمرد على أصالة الشعر العمودي بأسوأ النعوت، وبأنهم فئة ضالة، أغراب، شاذون، وبأن شعرهم الحُر، أو المحدث، هو هروب من رصانة الشعر، وعبقرية القافية والوزن، وجمال البناء الشعري، وضياع هوية الشعر. بالجملة، اعتبر هذا الشعر إيقاعًا جديدًا

---

(١) عطوات، المرجع السابق، ص١٥٤. انظر كذلك الكيالي، المرجع السابق، ص٣١٥. وانظر أيضًا حلمي الزواتي، برهان الدين العبوشي: شاعر فلسطين وداعية الجهاد المقدس، ج١، في الحصاد (مجلة) عدد شباط (فبراير) ١٩٨٥م، ص٧٤ - ٧٥. (في الأصل محاضرة ألقيت في المجلس الوطني للصداقة والتضامن والسلام في الخرطوم، يوم الإثنين، ١٠/ ١٢/ ١٩٨٤م).

لم تألفه الأذن العربية التي اعتادت على النغم والقافية[١].

"وللنفوس مطافٌ بالنفوس كما
تدورُ حولَ النجومِ الأنجمُ الزُهُرُ
والدهر للنفس بحرٌ زاخرٌ أبدًا
بحرُ النفوسِ ومنها العُشبُ والدُرَرُ
فما تآلف منها فهْوَ مُنْتَظِمٌ
وما تناكرَ منها فهْوَ مُنْتَثِرُ"[٢]

في الحقيقة منذ أن قرض د. سُمرين الشعر وهو طالب في كلية اللغة العربية، نجده يحرص كل الحرص على نظم قصائده في كلام موزون مقفى، وحافظ في أكثر قصائده على وحدة الوزن والقافية. مستلهمًا شعره من مأساة وطنه فلسطين، وماضي أُمته الإسلامية العريق، وتاريخها المجيد، والدعوة إلى الوحدة والتضامن، وجمع الكلمة مستنهضًا الهمم لاستعادة الوطن المغتصب، والوقوف صفًا واحدًا أمام العدو.

يقول السوافيري في هذا السياق: "يعد رجا سُمرين من الشعراء الذين صنعتهم المأساة، ولولاها ما نظم الشعر، وما بكى الوطن الضائع، والفردوس المفقود، وقد نظم مسرحية شعرية، تنسجم مع ما تقدم، عنوانها: "الجنة

---

(١) مع أن د. سُمرين حافظ في معظم قصائده على وحدة الوزن والقافية لكنه بالرغم من ذلك نظم القليل من قصائده على طريقة الشعر الحُر المعتمد على وحدة التفعيلة، للمزيد انظر السوافيري، المرجع السابق، ص٢٤١. وانظر كذلك أجزاء مقتطفة (بتصرف) من دراسة طويلة بعنوان الشعر في الأردن: نشأته وتطوره، في الرأي الأردنية (جريدة) (الملحق الثقافي) عدد الجمعة، ١٩/ ٩/ ٢٠١٤م.

(٢) انظر عبد الفتاح الشطي، قراءة في دواوين عبد الرحمن شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٦٦.

الضائعة"[١]، وديوانه "الضائعون"[٢]، الذي ضم الأشعار الوطنية والقومية للشاعر، إلى جانب شعره الإنساني... وقد ظهر أثر المأساة في شعره بالكثير من قصائده عن اللاجئين وخيامهم وما يقاسون من أهوال، وأوصاب، وبخاصة عندما يقبل الشتاء الرهيب فيجرف الخيام بما فيها ومن فيها، واستنهضت قصائده الهمم لاستعادة الوطن المغتصب والوحدة والتضامن وجمع الكلمة، والوقوف صفًا واحدًا أمام العدو وتخليص البلاد من براثنه وشروره. هذا وقد عبر عن مكنونات آلامه وأحزانه التي ألمت بشعبه في إهدائه الذي تصدر ديوانه "الضائعون" قوله: "إلى الذين لفظتهم الحياة فهاموا في مفاوزها حائرين، إلى أبناء وطني المشردين، وسائر المعذبين في الأرض، أهدي زفرات قلب مكلوم يحاول أن يرسم للقلوب الضائعة طريق الخلاص"[٣].

وفي قصيدته خيام اللاجئين أوضح وأصدق دليل على تأثره العميق بما آلت إليه أحوال شعبه المزرية في تلك الخيام البائسة قائلًا:

"وصمة أنت في جبين الدهور

يا خيامًا في القفر مثل القبور

أنتِ سِفر الآلام سطرك

البغي بأيد مخضوبة بالشرور

إذا ما الشتاء أخنى عليهنَّ

أحاط الخيامَ كلُّ ثبور"

---

(١) انظر مسرحية الجنّة الضائعة (كاملة) في رجا سُمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٥٦٥ وما بعدها.

(٢) انظر ديوان الضائعون (كاملًا) في رجا سُمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤١٣ وما بعدها.

(٣) انظر وقارن السوافيري، المرجع السابق، ص٢٤٠- ٢٤١.

"فـإذا بالـصغار تـذوي كمـا تـذ
وي زهـورُ الريـاض فـي الزمهريـر

وإذا بالنـساء والمـوت يهـوي
يخطـفُ الحـاملاتِ خطـفَ النـسور

صـائحاتٍ يـا عُـرْبُ هـل مـن مُغيـثٍ
ضارعـاتٍ يـا قـوم هَـلْ مـن مجيـر

مـن مـجيري مـن الهـوان فإنـي
ضـقتُ ذرعًـا بـالعيش بـين الجحـور

لـكأنـي والله أدعـو جمـادًا
ليـس فيـه مـن سامـع أو بـصير

هـان مـن عـاش فـي الحيـاة ذليلًـا
خـافـضَ الـرأس للـعـدوِّ الحقيـر

يـا فتـى العُـرب إنني يـا رجـائي
مـن رأى فيـك منقـذي ونـصيري

فـأثرهـا شـعـواء حتـى يخـالوا
أن يـوم الإنـقـاذِ يـوم النـشور"[1]

ويمضي شاعرنا يبوح بلواعج قلبه عن معاناة اللاجئين في خيام الذل قائلًا:

"نـشر الظـلام جناحَـهُ فـوق الروابـي والبطـاحْ
والرعـد يقـصفُ والريـا حُ الهـوجُ رغـاءُ الجمـاحْ

(١) رجا سُمرين، أبيات مختارة من قصيدته "خيام اللاجئين" في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤٣٤ – ٤٣٥.

والبـــرقَ يـــسطعُ فـــي الـــدُجى فيحيلـــــه مثـــــل الـــــصباحْ
واللاجئـــــون خيامُهـــــم تهتـــز فـــي مجـــرى الـــرياحْ
الـــسيل يجـــرفُ مـــا بهـــا فيثيـــرُ بينهـــمُ الـــصياحْ
ونـــساؤهم حيـــرى ثـــرَدِّدُ فـــي أســـىً لحـــنَ النـــواحْ
يبكـــينَ عـــزًا ضائعـــًا قـــد غالـــه الحَـــينُ المُـــتاحْ
ويـــلٌ لـــنا مـــا قيمـــة العـــيش الـــذليل الأســـحم
مـــن بعـــد أن كنـــا نبـــا هـــي عالـــيات الأنجـــم
نحـــيا بـــأجواف الخيـــا م وكـــل كهـــف مظلـــم
نفنـــى ببـــطء والـــيهو دُ بأرضـــنا فـــي أنعـــم
يـــا هـــذه الأقـــدار ثـــو ري واعـــصفي لا ترحمـــي
إن نحـــن لـــم نلـــقَ اليهـــو د غـــدًا بـــيوم اقتـــم
نبنـــي بـــه مـــا دمـــروا مـــن مجـــدنا المتهـــدم"[1]

ويمضي شاعرنا يبوح بوجعه بتصوير معاناة اللاجئين في خيام البؤس قائلًا:

"ربيعـي حيـن أرجـعُ للديـار يُئَـوِّجُ هـامـتي إكـليـلُ غـار
ربيعـي حـين لا داءٌ عُـضالٌ يُطـوِّحُ بالكبـار وبالـصغار
ربيعـي حـين لا سـجنٌ رهيـبٌ يـحيـطُ بكـلِّ حُـرٍّ لا يُـداري
فأمـا والـديـارُ مُـدَنَّـساتٌ بـأقـدامِ اليهـودِ الغاصبينا
أصـارع كـل ظلـمٍ فـي ثباتٍ ولا أخـشى سيـاط الظالـمينا
إلـى أن أبـصرَ الـوطن المفـدى طليقـًا مـن يـدِ المُـستعمرينا

(١) رجا سُمرين، أبيات مختارة من قصيدته "اللاجئون والشتاء" في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤٣٢ – ٤٣٣.

فحين يتم ذاك "وليس شك ... بأن الشعب يبلغ كل شيٍّ"
فإني سوف أخرج من حدادي ... وأشدو بالنشيد العبقريِّ
وأمضي هائمًا في كل روضٍ ... مع الأطيار في الفجر الطريِّ
وأرقصُ نشوةً طربًا وأنسًا ... وأشجي الطيرَ من لحني الشجيِّ
وأدعو كلَّ إنسانٍ ليلهو ... معي في ذلك العيدِ السنيِّ"[1]

وفي قصيدته "فلسطين"، يبوح الشاعر بحبه المستديم المتجدد وينادي شعبه وأمته ليمتشقوا السلاح تلبية لنداء حبيبته فلسطين، واثقًا أن أبناءها سيرجعون إليها لرمي اليهود بالبحر، مهما طال الزمن أم قصر، بعد أن أيقظتهم وشحذتهم مصيبة شعبهم ومعاناته الأليمة، بقوله:

"فلسطينُ يا أمَّنا الصابرهْ ... فداك جحافلنا الثائرهْ
مع النصر نحن على موعدٍ ... هناك على أرضِكِ الطاهرهْ
فلسطينُ أرضُكِ أرضُ الجمالْ ... وربْعُكِ ربْعُ السنا والجلالْ
بهاؤكِ ليسَ لهُ مُشبهة ... وحُسنكِ ليس له مِنْ مِثالْ
فلسطينُ يا قلبَ أرض العَرَبْ ... ويا دُرَّة الشرق طولَ الحِقبْ
حرامٌ علينا نعيمُ الحياةِ ... إلى أن تعودي لأيدي العربْ"[2]

ومن رحم هذه الصيحة المدوية ولدت من أحزان الشاعر وأشجانه، على نكبة شعبه وبلاده الحبيبة فلسطين قصيدته "يا فلسطين":

---

(١) رجا سُمرين، أبيات مختارة من قصيدته "ربيع اللاجىء"، في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤٣٠ – ٤٣١.

(٢) رجا سُمرين، أبيات مختارة من قصيدته "فلسطين"، في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٣٠٣. وانظر أيضًا وقارن الكيالي، المرجع السابق، ص٣١٢.

"يـا فلـسطينُ يـا ابنـة الأمجـادِ
يـا عـريـنَ الآبـاءِ والأجـدادِ
يـا فلـسطينُ والحيـاةُ كـفـاحُ
ونفيـر التحريـر مـاضٍ ينـادي
والـشبابُ الوثّـابُ يغلـي حماسـة
والـصبايا تـتـوق لـلإنجـادِ
سـوف نأتيـك كالنـسور[1] جموعًـا
تمـلأ الأرضَ فـي الـذُرى والـوهادِ
حيـثُ تُلقـي اليهـودَ فـي لُجـةِ البـحر
ونبنـي مـا انهـارَ مـن أمجـادِ
سـوفَ يـروي التاريـخُ عنـا بـأنا
أمّـةٌ قـد صَحَـتْ بُعيـدَ الرقـادِ
وأعـادتْ مـا كـان مـن مجدِهـا الـدا
ثـر صَلْـبَ الـبناءِ كـالأطـوادِ"[2]

وفي قصيدة الشاعر النارية "نداء الثأر" يدعو الشاعر كل حُر يـرفض الـضيم، أن ينفض عن نفسه الذل والهوان، ويثور على الواقع البائس الموجع الأليم، الـذي

(١) كتب الشاعر قصيدة "يا فلسطين" في العام ١٩٥٤م، وجاء في أصل القصيدة (البيت العاشر) "سوف نأتيك كالأسودِ جموعًا تملأ الأرض في الذرى والوهادِ". لكن الشاعر استبدل كلمة كالأسودِ بالنسورِ – فيما بعد – راجع القصيدة في نصها الأصلي كاملة في رجا سُمرين، في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤٢٤.

(٢) رجا سُمرين، أبيات مختارة من قصيدته "يا فلسطين"، في الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص٤٢٤.

هذا الكتاب

تقتصر هذه الدراسة على أعمال وسير ثلاثة أعلام من رواد الأدب والفكر المستنير، قُدم اثنان منها ضمن أبحاث علمية مشاركة أخرى في حفلين تكريميين أقامهما قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة البترا الغراء وفاءً لذكراهما العطرة وتقديرًا لمكانتهما الأدبية والفكرية السامقة، وهما الأديبان الكبيران نصرت عبد الرحمن، وبرهان الدين العبوشي. أما البحث الثالث قُدِّم ضمن أعمال علمية أخرى، شارك فيها كوكبة من المثقفين والأكاديميين، في الندوة العلمية التكريمية، التي أحيتها رابطة الكتاب الأردنيين احتفاءً بالأديب الكبير رجا سُمرين وتثمينًا لإبداعاته الأدبية والفكرية القيمة.

وبالتأكيد فإن تكريم هذه النخبة من أدباء عصرهم – أملتها مناسبات لا انتقائية فيها – لا يعني في أي حال من الأحوال التقليل من مكانة وشأن العشرات بل المئات من الأدباء الأردنيين والعرب من أصحاب القامات والهامات الأدبية والثقافية المرموقة، الذين أثروا عالمنا بإبداعاتهم الاستثنائية الرائعة، وأحسب أنهم أكبر من كل تكريم ويكفيهم جمهورهم الواسع المحب الذي يقيم لهم كبير وزن وكريم اعتبار.

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

9789957773847

دار الرئيم للنشر والتوزيع
العبدلي - العبدلي عمارة جوهرة القدس
تلفاكس : 4652030
E-mail: daralrabeem@gmail.com